الخاتمة

خاتمة الأطروحة

بعد أن درسنا جهود المسلمين في ميدان من ميادين حياتهم العلمية في الأندلس، وهو ميدان التدوين التاريخي ومنهجه، في النطاق الزماني الذي امتد من القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري.نذكر أبرز النتائج التي ترشحت عن موضوع هذه الدراسة وأبرز التوصيات في ميدانها:

١. عمدنا في هذه الدراسة إلى تتبع جهود العلماء المسلمين في الأندلس في احد أهم الميادين العلمية التي برعوا فيها، وهو ميدان التدوين التاريخي ومنهجه وما صاحبها من تقدم، من القرن الهجري الخامس حتى نهاية القرن الهجري السابع.

٢. ألف الأندلسيون ٢١٧ كتابًا وفق أسلوب التراجم، خلال النطاق الزماني لموضوع هذه الدراسة، كان نصيب القرن الهجري الخامس ٧٨ كتابًا ونصيب القرن السادس الهجري ٥٦ كتاباً، في حين كان نصيب القرن السابع الهجري ٨٣ كتابًا.

٣. بلغ عدد الكتب المؤلفة وفق أسلوب الحوادث ١٧٢ كتاباً، كان نصيب القرن الخامس الهجري ٥٦ كتاباً، ونصيب القرن السادس الهجري ٥٨ كتاباً، ونصيب القرن السابع الهجري ٥٨ كتاباً.

٤. إن أغلب الكتب التي ذكرنا عدد عنواناتها، والتي ألفها المؤرخون الأندلسيون، وفق أسلوبي التراجم والحوادث، التي بلغ عددها ٣٨٩، والتي تم تأليفها في القرون التي شملتها هذه الدراسة لم يصل إلينا منها إلا عدد قليل، ويعود هذا للأسباب المتعددة والمعروفة للباحثين المختصين في ميدان الدراسات الأندلسية. تخيرنا أن ندرس من هذا الذي وصل إلينا منهج ثلاثة مؤرخين في ثلاثة من كتبهم فحسب، شغلت ثلاثة فصول من هذه الدراسة، متجاوزين دراسة منهج مؤلفي غيرها للأسباب التي ذكرناها في المقدمة.

٥. إن أعداد الكتب التي ذكرت لها دلالات واضحة، ومنها أنها تؤشر على التطور والازدهار الذي بلغته الحركة الفكرية العربية الإسلامية وفي ميدان واحد من ميادينها وهو التدوين التاريخي في الأندلس، ابتداءً من القرن الهجري الخامس حتى نهاية القرن الهجري السابع، وتؤشر على أن التدوين التاريخي في الأندلس بلغ أعلى

مستوياته، وفق المعيار العددي، في القرن السابع، موازنة بالقرون التي سبقته، والقرون التي جاءت بعده وحتى نهاية القرن السابع.

٦. لا شك أن أسباب وفرة التدوين التاريخي في عقود القرن الهجري الخامس في الأندلس، موازنة بعقود القرون الأخرى التي ذكرناها، لها أسبابها، ولعل أبرزها، أن النمو والتطور الذي كانت عليه حياة المسلمين في الأندلس، وفي ميدان الحركة الفكرية، قد أتى بثماره في القرن الخامس. وإن انتهاء المركزية السياسية في الحكم في الأندلس، وقيام حكم الدويلات، قد ساعد على تهيئة ظروف مناسبة لاستمرار التطور وتحقيق مظاهر الازدهار.

٧. انتهت المركزية العلمية قسراً في الأندلس بسبب انتهاء المركزية السياسية. فقد هجر العلماء والأدباء والشعراء مدينة قرطبة حاضرة الأندلس العتيدة، بسبب تراجع الأمن و الاستقرار فيها، كما هو معروف، بسبب أحداث الفتنة، واعتبارا من سنة ٣٩٩هـ. غادر العلماء والأدباء والشعراء قرطبة ويمموا وجوههم المدن والقرى الأندلسية الأخرى، التي كانت بعيدة عن التوتر الذي اجتاح قرطبة، وما حولها. وقد نالوا عند أمراء هذه المدن وقادتها، الذين أصبحوا ملوكاً فيها، التشجيع والمكانة الرفيعة، فقد سعى أمراء الدويلات التي ظهرت أثناء الفتنة وبعد قرار إلغاء الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ على استقطاب كل أصحاب العلوم والمواهب والحرف وجعلهم قريبين إلى سلطانهم، لأن كثيراً من ملوك الطوائف كانوا من العلماء أو من الشعراء، وكلهم نشأوا في المجتمع المحب للعلوم والآداب والشعر، وهم من المجتمع الذي كان يقدر العلم والعلماء ويحلهم المنزلة التي يستحقونها.

٨. لا نجزم بأن الكتب التي ذكرناها في الفصلين الأول والثاني التي ألفها المؤرخون المسلمون في الأندلس، هي كل ما دونوه في القرون المذكورة، لكنها بلا شك تمثل غالبيتها وتعكس صورة جانب من جوانب ازدهار التدوين التاريخي في الأندلس حتى نهاية القرن الهجري السابع.

٩. تبين لنا من خلال هذه الدراسة استمرار التدوين التاريخي في الأندلس في القرون الخامس والسادس والسابع، وبتصاعد عما كان عليه التدوين في القرن الرابع، قرن الاستقرار السياسي في معظم عقوده وقرن التقدم الحضاري. على الرغم

من التفكك السياسي الذي عصف بالبلاد وقسمها إلى دويلات صغيرة عرفت بدويلات الطوائف، وبالرغم من التراجع العسكري والسياسي الذي شهدته الأندلس المسلمة في عصر الطوائف وعصر المرابطين والموحدين.

١٠. تبين من موضوعات الفصول الثالث والرابع والخامس التي خصصناها لدراسة منهج المؤرخين الأندلسيين فيما ألفوا أن المؤرخين الأندلسيين لم يكونوا على نسق واحد في المنهج من حيث تنظيم كتبهم، لذلك كان من الصعوبة أن نعقد موازنة في مناهجهم، خصوصاً وإن ما تخيرناه من كتب لدراسة مناهج مؤلفيها جاءت مواضيعه مختلفة.

١١. ونتيجة لما تقدم فإن منهج ابن حزم (ت٤٥٦هـ) في التراجم جاء مختلفاً تماماً عن منهج ابن عسكر (ت٦٣٦هـ)، فالأول اختار أن تكون تراجم كتابه مشرقية...، والثاني فضل أن تكون تراجم كتابه مقتصرة على أهل مدينته مالقة ولنوعين رئيسين من التراجم هما الفقهاء والأدباء.عبر كل واحد منهما عن حاجات مجتمعه الفكرية وما وصل إليه الموروث العلمي في المنهج التأليفي عند المسلمين في الأندلس في المدة التي عاشوا فيها كل واحد منهما.

١٢. وقد عبر كتاب العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ)، أنموذج التدوين وفق أسلوب الحوادث، في الأندلس في القرن السادس الهجري، عن قمة التدوين التاريخي في الأندلس. أظهر موضوع كتابه وتنظيمه له وطبيعة حوادثه أنواعها مدى التطور الفكري والفلسفي في زمانه وطبيعة اهتمامات أهل زمانه العقائدية والفكرية. تخير أبو بكر أحداثاً من تاريخ صدر الإسلام، لتكون موضوع كتابه نظراً لأهميتها في حياة المسلمين وفي تاريخهم وحتى زمن تأليف كتابه، والتي لا يزال كثير منها مؤثراً في واقع المسلمين اليوم، والتي نرى أنها ستبقى مؤثرة وبلا شك في مستقبلهم .عكس الكتاب في موضوعه وفي تنظيمه على عواصم وقواصم وما اعتمده المؤلف من موارد وما ورد فيه من نقد، عقلية ابن العربي الذي عرف جوانب من أحوال البلاد العربية و الإسلامية من خلال رحلته إلى العراق والشام ومصر ومكة، لذلك جاء كتابه بهذا الغنى بالموضوعات الفلسفية والكلامية والتاريخية وبهذا النقد الجريء لما تردد في أوساط المجتمع الإسلامي من أفكار وآراء للأحزاب السياسية وللفرق الإسلامية. وما اشتمل عليه من دفع للتهم التي

وجهت للجيل الذي عاش عصر الرسالة وأحداثها وأحداث عصر الراشدين، وهم الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم. وحاول أن يبين الجهات التي كانت مستفيدة من إطلاق تلك التهم والافتراءات من وجهة نظره، وما كانت تستهدفه من تمزيق وحدة المسلمين، انتقاماً منهم لما وقع عليهم من خسائر للسلطان والمكانة والتصدر قبل أن يبزغ نور الإسلام وقبيل أن تصل أنواره وتعم البلاد شرقاً وغربا.

١٣. ربما يطرح سؤال لماذا اخترنا كتابين كانت موضوعاتهما مختصة بأحداث المشرق، والجواب هو أن عنايتنا هي بدراسة المنهج عند المؤرخين الأندلسيين بغض النظر عن مواضيع الكتب التي ألفوها. وإن كان الكتاب أي كتاب يؤشر على موقف المؤرخ ونوع عنايته وعناية المثقفين في زمانه من التاريخ.

١٤. نؤكد على ضرورة توجه الباحثين إلى المزيد من دراسة التراث العربي الإسلامي الأندلسي. فكثير من الكتب التي ألفها أهل الأندلس وتقع في دائرة التدوين التاريخي، بحاجة إلى دراسة وافية عن مؤلفيها وعن مناهجهم فيها مثال ذلك كتاب: (التعريف بجماعة من فقهاء المالكية) لابن عبد البر. هذا الكتاب مخطوط كما سبقت الإشارة إليه.

وكتاب (مناقل الدرر ومنابت الزهر) للشقندي (ت٥٢٩هـ). هذا الكتاب ضخم احتوى على أخبار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبار الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين والعباسيين.

وكتاب زاد المسافر لأبي بحر بن صفوان (ت٥٩٨هـ)، الذي خصصه للكتاب الأندلسيين في القرن السادس الهجري.

وكتاب الحدائق الغناء في أخبار النساء لأبي الحسن علي بن محمد المعافري (ت٦٥٥هـ). وهو كتاب مطبوع .

وكتاب تاريخ الكتاب الأندلسيين لأبي عمر بن عيشون (ت٦١٤هـ) وهو مخطوط كما أسلفنا.

وكتاب الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة لأبي بكر محمد بن عبد الله الأنصاري (ت٦٨١هـ) وهو محقق ومطبوع ونحو ذلك من الكتب التي فصلنا القول عنها في الفصلين الأول والثاني. إن عزوفنا عن دراسة مناهج المؤلفين في الكتب المذكورة جاء لأسباب موضوعية ذكرناها في مقدمة هذه الدراسة.

أخيرًا فإنّ جمع نصوص المؤلفات التاريخية الأندلسية المفقودة ودراستها وتحقيقها ينبغي أن يكون موضع عناية الباحثين المختصين لتسهيل مهمة الإفادة منها في استكمال دراسة تاريخ المسلمين في الأندلس. ومن الله تعالى نستمد التوفيق والسداد وهو المعين سبحانه على خدمتنا لتاريخنا الإسلامي.